# الأسماء والكلمات:

## دراسة مفاهيمية قرآنية

عبد الرحمن حللي*

## مقدمة

تعتبر الدراسة المفاهيمية عموماً وبالنسبة للقرآن خصوصاً من الدراسات الصعبة والدقيقة؛ لما تتطلبه من جهد ولما يعترضها من صعوبات لعل أهمها جدتها وعدم تبلور منهجيتها. وقد أشرنا في دراسة سابقة[1] إلى هذه المعوقات المنهجية، وحاولنا رسم خطوات تساعد في بلورة منهج لتجاوزها، وخلصنا إلى عسر تحقق تلك الخطوات بالجهد الفردي، مع إمكانية الاجتزاء ببعضها، وعليه سنعتمد في دراستنا هذه استقراء المعاني اللغوية للمفردات التي سندرسها واستخلاص المعنى المركزي الذي يشكل الخيط الرابط بينها، ثم تتبع ورود تلك المفردات في القرآن وتصنيف سياقاتها وتحليلها وربط ذلك بالمعنى المركزي اللغوي، وملاحظة تنزلات تلك المفردات في السياقات القرآنية والروابط بينها،

---

* دكتوراه في العلوم الإسلامية من جامعة الزيتونة، عضو الهيئة التدريسية في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

1 حللي، عبد الرحمن، "المفاهيم والمصطلحات القرآنية: مقاربة منهجية"، مجلة **إسلامية المعرفة**، السنة التاسعة، العدد: 35، شتاء، 2004، ص65-90.

وما قد يشير إليه ذلك من معنى مركزي قرآني لتلك المفردة في بنية النص القرآني، وما يفيده ذلك من دلالات في بناء التصور الذي يؤسسه القرآن من خلال تلك المفاهيم.

قد يبدو غريبًا طرح مفردتي الأسماء والكلمات من بين المفاهيم القرآنية ذات الدلالات الخاصة التي تتجاوز المعنى اللغوي، لاسيما وأن معظم المدونات التفسيرية قد تعاملت مع المفردتين على المستوى اللغوي البحت، لكن تأملنا في مختلف الآيات التي ورد فيها اللفظان أثار لدينا تساؤلاً حول فرضية أن يكون لهما معنى غير المعاني اللغوية المتداولة.

**فالأسماء** التي عُلِّمها آدم كانت الجواب الإلهي الذي أبطل وهْمَ الملائكة أن خلافة الإنسان في الأرض متمحضة للفساد وسفك الدماء، فهل ما ورد من تفاسير في معاني الأسماء – التي سنذكرها لاحقاً – كاف لمنع ما توهمه الملائكة؟ فلفظ الأسماء مرتبط بتكوين الإنسان، وتعليم آدم يعم جنس الإنسان. أما **الكلمات** فقد تلقاها آدم، وابتلي إبراهيم بكلمات، وعيسى وصف بأنه كلمة من الله، ويحيى بأنه مصدق بكلمة منه، والرسول الخاتم يصدق بكلمات الله. وفضلاً عن هذه السياقات التي تخص ذكر الأنبياء، فقد وردت الأسماء والكلمات في آيات أخرى عديدة في موضوعات مختلفة تسوّغ وتعزز إعادة النظر في دلالة اللفظين واعتبارهما محلّ إشكال علميّ وفكريّ يستحق الدرس والبحث.

## مفهوم الأسماء

### 1- الاسم في اللغة:

الاسم مشتق من **السمو** وهو الرفعة، والأصل فيه سمو وهو أصل تأسيسه؛ لأنه تنويه ورفعة. وقال الكوفيون إنه مشتقّ من **السمة** والعلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له، فأصله عندهم مأخوذ من وسمت. لكن معظم المعاجم استبعدت الاشتقاق الثاني لتنافيه مع الاشتقاقات الأخرى للفظ، فالاسم رسم سمة توضع على الشيء يُعرَف بها، واسم الشيء علامته، والاسم اللفظ الموضوع للجوهر أو العرض ليفصل به بعضه من

بعض أو ما يعرف به ذات الشيء. والاسم الذّكر، والاسم هو المسمَّى، يقال سميٌّ فلان إذا وافق اسمه اسمه.[1] وقد وجدت عبارة للألوسي تجمع بين الاشتقاقين، حيث ذكر أن الاسم "باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلاً يرفعه إلى الذهن من الألفاظ الموضوعة بجميع اللغات والصفات والأفعال، واستعمل عرفاً في الموضوع لمعنى مفرداً كان أو مركباً، مخبراً عنه أو خبراً أو رابطة بينهما، وكلا المعنيين محتمل".[2]

فالاسم بناء على ذلك يكون العلامة الموضوعةَ للشيء تسمو به، فمن حيث كون الاسم علامة على الشيء يعتبر اشتقاقه من الوسم، ومن حيث رفعة الشيء بتسميته يعتبر الاشتقاق من السمو، والمعنيان متلازمان ومتضايفان في الاسم، فلا رفعة للشيء بالنسبة للمعني بالاسم من غير علامة ترفعه وتسمو به، ويحتاج الشيء لعلامة ما يرتفع ويسمو بها ويتميز عن غيره.

## 2- الأسماء في القرآن الكريم

ورد لفظ الأسماء بصيغة الجمع اثنتي عشرة مرة بينما ورد لفظ الاسم مفرداً أربعاً وعشرين مرة، ووردت صيغة الفعل منه ثماني مرات، واقترنت صيغة مسمى بالأجل عشرين مرة، وقد تناولت مختلف الصيغ معان عديدة اختصت بها سياقات الآيات، وسنحاول تناولها حسب موضوع الآيات التي وردت فيها.

---

[1] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ج7، ص319؛ ابن منظور، محمد بن علي، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط1، د.ت)، ج14، ص401-403؛ الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط** (د. ط، د.ت)، ص1672؛ الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق محمود خاطر (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1995)، ص133؛ الزمخشري، محمود، **أساس البلاغة** (بيروت: دار صادر، ط1، 1992)، ص309؛ الأصفهاني، الحسين بن محمد الشهير بالراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان عدنان داوودي (دمشق: دار القلم، ط3، 2002)، ص428.

[2] الألوسي، محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج1، ص223-224.

## الأسماء التي تعلمها آدم

ورد ذكر الأسماء التي عُلِّمها آدم أربع مرات في سياق بيان جواب الله تعالى على الملائكة في تساؤلهم عن إفساد الخليفة وسفك الدماء في الأرض، وورد فيها بيان تعلم آدم كل الأسماء وجهل الملائكة بها وإعلام آدم إياهم بها. ولم يرد ذكر الأسماء التي عُلِّمها آدم في غير موضع واحد في القرآن، على الرغم من تكرار ذكره في أماكن عديدة.[1] وقد تعاملت معظم التفاسير في تحديد معنى الأسماء على أنها الاسم بمعناه اللغوي، أعني العلامة على الشيء التي تميزه عن غيره، وضمن هذا الإطار ذكروا فيها قولين:

**الأول**: أن الله علمه كل الأسماء، أي أسماء الأشياء كلها جليلها وحقيرها، وهي الأسماء التي يتعارف بها الناس من إنسان ودابة وأرض وأشباه ذلك من الأمم وغيرها، وهو الذي يقتضيه ويؤكده لفظ "كلها" إذ هو اسم موضوع للإحاطة والعموم.

**والثاني**: أنه علمه أسماء معدودة لمسميات مخصوصة، وفي تحديدها أربعة أقوال: 1) أسماء الملائكة خاصة، 2) أسماء الأجناس دون أنواعها، كقولك إنسان وملك وجني وطائر، 3) أسماء ما خلق من الأرض ومن الدواب والهوام والطير، 4) أسماء ذريته. ورجح الطبري أنها أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة دون أسماء سائر أجناس الخلق.[2] أما الأصفهاني فقد اعتبر أن تعليم الأسماء هو تعليم الأصول المشتملة على الفروع والمعاني الكلية المنطوية على الأجزاء والقوانين التي تُعرَف بها حقيقة الشيء، أما معرفة الجزئيات متعرية عن الأصول فليس بعلم.[3] ورأى آخرون أن المراد أسماء كل ما خلق

---

[1] الآيات هي:﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ **الْأَسْمَاءَ** كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي **بِأَسْمَاءِ** هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ **بِأَسْمَائِهِمْ** فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ **بِأَسْمَائِهِمْ** قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)﴾ (البقرة).

[2] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (بيروت: دار الفكر، 1405هـ)، ج1، ص215-216. (ملاحظة: سنختصر أسماء التفاسير المشهورة بكلمة التفسير بعد ذكر اسم المؤلف وذلك عند الإحالة عليها).

[3] الأصفهاني، الراغب، **تفسير سورة البقرة**، محقق ضمن أطروحة جامعية من إعداد محمد إقبال فرحات، "الراغب الأصفهاني ومنهجه في التفسير مع تحقيق تفسير سورة البقرة"، دكتوراه - المعهد الأعلى لأصول الدين – جامعة الزيتونة بتونس 1998، ص202-203.

الله تعالى من أجناس المخلوقات بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده اليوم.[1] وقال بعضهم علمه جميع اللغات، وبناء على هذا التفسير قالوا إن اللغات توقيفية إذ الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو عموم.[2] وبعيداً عن هذه التأويلات نجد الحكيم الترمذي يطرح رؤية أخرى تربط الأسماء التي علّمها آدم بالأسماء في آيات أخرى، فيرى أن الأسماء التي علمها آدم هي أسماؤه تعالى، ويرجح هذا القولَ الألوسيُّ الذي نقل رأي الترمذي وأكّد أنه هو الذي يقتضيه منصب الخلافة، ويقال لها أسماء الله تعالى عند الصوفية باعتبار دلالتها عليه وظهوره فيها غير متقيد بها، ولهذا قالوا إن أسماء الله تعالى غير متناهية؛ إذ ما من شيء يبرز للوجود من خبايا الجود إلا وهو اسم من أسمائه تعالى.[3] وذهب بعض المتأخرين إلى أن المقصود بالأسماء مفاهيم التوحيد وأمهات الأخلاق الدينية، وأنها هي فحوى رسالة آدم.[4] وفي بيان معنى التعلم أكدوا أنه يشمل الأسماء بمعانيها، إذ لا فضيلة في معرفة الأسماء دون المعاني، فالمراد أسماء المسميات.[5] وهذه التقييدات والتوضيحات

---

[1] انظر أقوال المفسرين في المصادر السابقة وفي: القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني (القاهرة: دار الشعب، ط2، 1372هـ)، ج1، ص282؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، **زاد المسير في علم التفسير** (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1404هـ)، ج1، ص62-63؛ الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج1، ص64.

[2] البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل (تفسير البغوي)**، تحقيق خالد العك (بيروت: دار المعرفة، ط2، 1987)، ج1، ص61، البيضاوي، أبو عبد الله محمد، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (تفسير البيضاوي)، تحقيق عبد القادر العشا (بيروت: دار الفكر، 1996)، ج1، ص291؛ الجصاص، أحمد بن علي الرازي، **أحكام القرآن** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1984)، ج1، ص37.

[3] الألوسي، **روح المعاني**، ج1، ص224.

[4] شاهين، عبد الصبور، **أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة** (القاهرة: دار الروافد الثقافية، 1998)، ص135-136.

[5] الأصفهاني، تفسير سورة البقرة، ص203؛ العمادي، محمد أبو السعود، **إرشاد ذوي العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** (تفسير أبي السعود)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج1، ص86؛ الجصاص، **أحكام القرآن**، ج1، ص37، الشوكاني، **فتح القدير**، ج1، ص64؛ ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984)، ج1، ص409.

أدت إلى إشكالية أخرى هي العلاقة بين الأسماء والمسميات والأشياء، فالاسم قد يُطلق ويراد به المسمَّى أو التسميةُ ذاتها، وقد يجري اسم في اللغة مجرى العبارة ذاتها وهو الأكثر من استعمالها، كما يجري مجرى الذات، يقال ذات ونفس وعين واسم بمعنى واحد، والأشياء متعلقة بالمسمى لا بالاسم.[1]

وقد حاول بعض المعاصرين الخروج من هذه الإشكالية بالتفريق بين اسم العلم والاسم المحمول، واعتبر ما ذكره المفسرون من قبيل أسماء الأعلام (شجر، وحجر، إلخ) وأنهم تأثروا في ذلك بالميراث اليهودي. أما الاسم المحمول فهو الذي تعلمه آدم، ويقصد به الاسم المتعلق بخصائص الحامل له وهويته، مثل زوج وزوجة وابن إلخ، واعتبر صاحب هذا الرأي أن الملائكة لم تكن تعلم الأسماء المحمولة هذه.[2] لكن ما ذكره المفسرون من شمول الأسماء لتعليم ذوات الأشياء وكلياتها يجعل هذا التفريق فذلكة لفظية دقق فيها السابقون بعمق.

ولعل ابن تيمية كان أوضح مَنْ عالج العلاقة بين الأشياء والألفاظ والمعاني باعتبار الأسماء ألفاظاً، فاللفظ الدال على المعنى أو الموضوع له لا بد أن يكون مسبوقًا بتصور المعنى، فمن لم يتصور مسمى الماء والسماء والأرض والأب والأمّ لم يعرف دلالة اللفظ عليه.[3] والأشياء لها وجود في أنفسها وهو وجودها العيني، ولها ثبوتها في العلم ثم في اللفظ

---

[1] انظر القرطبي، **التفسير**، ج1، ص281-282، الشوكاني، **فتح القدير**، ج1، ص64. وحول العلاقة بين الاسم والمسمى والتسمية انظر: الغزالي، **المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، (قبرص: الجفان والجابي، ط1، 1987)، ص24 وما بعدها.

[2] حاج حمد، محمد أبو القاسم، **العالمية الإسلامية الثانية** (بيروت: دار ابن حزم، ط2، 1996)، ج1، ص102-103.

[3] وقد عمم ابن تيمية هذا المعنى على الحدود التعريفية فاعتبرها مجموعة من الأسماء، فقال: "وهذا كما أنه مذكور في دلالة الأسماء على مسمياتها المفردة، فهو بعينه وارد في دلالة الحدود على المحدودات؛ إذ كلاهما إنما يدل على معنى مفرد، لكن الحد يفيد تفصيل ما دل عليه الاسم بالإجمال، فليس الحد في الحقيقة إلا اسماً من الأسماء أو اسمين أو ثلاثة كقولك حيوان ناطق. وكذلك قيل في تعليم آدم الأسماء كلها تعليم حدودها، وهي من جنس الحدود المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوْا حُدُوْدَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُوْلِهِ﴾. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الرد على المنطقيين** (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص10.

المطابق ثم في الخط، فهي بذلك لها وجود عيني ووجود علمي ولفظي ورسمي،[1] فالشيء الموجود يتعلق بثلاثة اعتبارات: هي المعنى الذهني، واللفظ الدال عليه، والرسم أو الخط؛ فالخط يطابق اللفظ، واللفظ يطابق المعنى، والثلاثة تتناول الأفراد الموجودة في الخارج.[2]

ولئن لم تحسِمْ هذه المقارباتُ والتحديدات الإشكالَ المتعلق بطبيعة الأسماء التي عُلِّمها آدم، فإنها أوضحت الإطار الذي تدل عليه لفظة الأسماء لغويًّا ومنطقياً وعلاقتها بالمعنى والشيء الذي ترتبط به. لذا فإن السؤال المحوري حول كون تعلم الأسماء عاصماً من الإفساد في الأرض وسفك الدماء لم تجب عنه تأويلاتُ المفسرين ولا تحديد علاقة الأسماء بالأشياء، وسنتناول فيما يلي السياقات التي تتعلق باسم الله وأسمائه الحسنى.

## أ – اسم الله وأسماؤه الحسنى

إن أول ما يطالع قارئ القرآن افتتاحيةُ كل سورة، أو ما يعرف بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم). وأول آية أنزلت من القرآن تحمل لفظ الاسم مقترناً بأول تكليف إلهي للإنسان ﴿اقْرَأْ **بِاسْمِ** رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: 1). وقد تكرر في القرآن اقترانُ لفظ الاسم بالله وبالرب مرات عديدة. فذكر اسم الله على لسان نوح عند أمر قومه بركوب الفلك،[3] وعلى لسان سليمان مفتتحاً رسالته باسم الله إلى ملكة سبأ.[4] أما الآيات الأخرى التي وردت فيها صيغة (اسم الله) أو الضمير المضاف إلى الاسم العائد إلى الله فجميعها تقترن بالأمر بذكر الله والحديث عنه، إما على الذبح والصيد،[5] أو في مكان

---

[1] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، تحقيق محمد السيد الجليند (دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ط2، 1984)، ج2، ص195؛ **الرد على المنطقيين**، ص10، والغزالي، **المقصد الأسنى**، ص24.

[2] ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل** (الرياض: دار الكنوز الأدبية، 1391هـ)، ج5، ص100، **والرد على المنطقيين**، ص10.

[3] هود: 41.

[4] النمل: 30.

[5] المائدة: 4، الأنعام: 118-119-121-138، الحج:34-36.

خاص: المساجد،[1] أو زمان خاص: أيام معلومات.[2] أما إضافة الاسم إلى الرب والمعني به دائماً الله تعالى، فقد جاءت في تسع آيات: واحدة تخبر بتبارك اسم الله،[3] والباقية كلها تقترن بتكليف إلهي إما الأمر بالقراءة، أو بذكر الله والتبتل إليه والصلاة، أو بتسبيحه (العلق: 1، المزمل: 8، الإنسان: 25، الأعلى: 15، الواقعة: 74-96، الحاقة: 52، الأعلى: 1).

وقد جاءت هذه الموارد بصيغة الاسم المفرد، وقد وردت صيغ أخرى بالجمع وهي ما عُرِف بالأسماء الحسنى التي جاءت الآيات تنسبها لله وتأمر بدعائه بها وتنهى عن الإلحاد في أسمائه (الأعراف: 180، الإسراء: 110، طه: 8، الحشر: 24). وهذه الأسماء التي ذكرها الله لنفسه وغيرها من الصفات قد تفرد بها، وأمر الإنسان بعبادته والاعتبار بها وتحداه أن يجد له **سَمِيا**.[4] وقد اختلف المفسرون في المقصود من اسم الله أو الأسماء الحسنى، لا من حيث تحديدها، وإنما من حيث إشكالية علاقتها بالذات والمسمى، وكان للاختلاف فيها أثره في الجدل الكلامي. وقد جاء في ذلك ثلاثةُ أقوال:[5] **الأول**: الاسم هو المسمى؛ لأنه لو كان غيره لوجب أن تكون الأسماء لغير الله تعالى. **الثاني**: المراد بالاسم والأسماء التسميات أو الألفاظ؛ لأنه سبحانه واحد والأسماء جمع، وهي عبارات عن كون الله تعالى على أوصاف شتى منها ما يستحقه لنفسه ومنها ما يستحقه لصفة تتعلق به. **الثالث**: المراد بالأسماء الصفات، فالأمر بتسبيح اسمه يراد به تسبيح المسمى لا تسبيح مجرد الاسم، ودعاء الاسم هو دعاء مسماه، وكذلك الذكر؛ لأن الذكر الحقيقي محله القلب لأنه ضد النسيان، والتسبيح نوع من الذكر فلو أطلق الذكر، والتسبيح لما فهم منه إلا ذلك.[6]

---

[1] البقرة: 114، الحج:40، النور: 36.

[2] الحج: 28.

[3] الرحمن: 78.

[4] ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ **سَمِيًّا**﴾ (مريم: 65).

[5] القرطبي، **التفسير**، ج7، ص326؛ البيضاوي، التفسير، م.س ج3، ص77، 472.

[6] القرطبي، **التفسير**، ج1، ص281-282؛ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق عبد الرحمن النجدي (الرياض: مكتبة ابن تيمية، د.ت)، ج16، ص323؛ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد**، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وآخرين (مكة: مكتبة نزار الباز، ط1، 1996)، ج1، ص23؛ الشوكاني، **فتح القدير**، ج1، ص64.

وأما النهي عن الإلحاد في أسمائه تعالى فالمقصود به العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وإلحادهم فيها يكون بإطلاقها على الأصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز،[1] هذا الجانب هو ما اختصت به آيات أخرى تحدثت عن تسمية المشركين للأصنام.

**ب- تسمية الأصنام**

وردت آيات متعددة تنكر على المشركين اتخاذهم أصنامًا آلهة من دون الله وتسميتهم إياها بأسماء من عندهم، وقد جاء هذا الاستنكار بصيغة واحدة على لسان هود ويوسف ومحمد عليهم السلام: ﴿**أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا** أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ (أنزل) اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ (الأعراف:71، يوسف: 40، النجم: 23)، بينما وردت آيتان على لسان محمد ﷺ تستنكر تسمية الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ الْمَلَائِكَةَ **تَسْمِيَةَ** الْأُنْثَى (النجم: 27)، وأخرى تطلب من المشركين أن يسموا شركاءهم مع الله (الرعد: 33).

وقد ذكر المفسرون أن مورد استنكار الأنبياء على أقوامهم هو تسميتهم أوثانهم آلهة أرباباً شركاً منهم وتشبيهاً لها بالله في أسمائها التي سموها بها، وذلك تسميتهم اللات والعزى ومناة بهذه الأسماء وعبادتهم إياها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها، ولا تصح معاني تلك الأسماء للأصنام فكأنها أسماء فارغة، فكأنهم يعبدون الأسماء المجردة لأنها لا تصح معانيها.[2] والاسم هنا بمعنى المسمَّى، فهم قد عبدوا المسميات ولكن من أجل أنهم نحلوها أسماء باطلة كاللات والعزى وهي مجرد أسماء، فما عبدوا إلا أسماء لا حقائق لمسمياتها.[3]

---

[1] البيضاوي، **التفسير**، ج3، ص77-472؛ ابن القيم، **بدائع الفوائد**، ج1، ص179.

[2] الطبري، **التفسير**، ج12، ص220، ج27، ص61- 62؛ البيضاوي، **التفسير**، ج3، ص289؛ القرطبي، **التفسير**، ج7، ص237؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، **زاد المسير في علم التفسير** (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1404هـ)، ج4، ص226؛ الغزالي، **المقصد الأسنى**، ص37.

[3] ابن القيم، **بدائع الفوائد**، ج1، ص2؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج12، ص276، ج27، ص107-108.

وبالنسبة لمطالبة المشركين أن يسموا شركاءهم، فالسؤال وارد على جهة التهديد والتبكيت والتوبيخ، يقال في الشيء المستحْقَر الذي لا يستحق أن يُلتفت إليه: "سمه إن شئت"؛ يعني أنه أحقر من أن يُسَمَّى، والمعنى أنهم ليسوا ممن يذكر ويسمى، إنما يُذكر ويسمى مَنْ ينفع ويضر، فقوله: "سموهم" أي أعلمونا بهم واكشفوا عنهم حتى يُعرَفوا فإنهم لا حقيقة لهم، أو بينوا أسماءهم أو صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة، وتسميتهم بإضافة أفعالهم إليهم. فإن سموها بأسمائها الصادقة عليها كالحجارة وغيرها من مسمى الجمادات وأسماء الحيوان التي عبدوها من دون الله، فهذه أسماؤها الحق وهي تبطل ألوهيتها؛ لأن الأسماء التي من لوازم الإلهية مستحيلة عليها، وذلك تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها.[1]

هذا مجمل ما ورد من معطيات في التفاسير حول الآيات التي تحدثت عن أسماء الأصنام وتسميتها، ولم نجد مَنْ ربط أيَّ سياق من تلك السياقات بما ورد عن الأسماء التي عُلِّمَها آدم أو أسماء الله الحسنى. أما بقية السياقات القرآنية التي وردت فيها مفردةُ الاسم ومشتقاتها فقد جاءت في الحديث عن تسمية بعض الأعلام القرآنية بأسمائهم، كتسمية المسيح عيسى ابن مريم، ومريم، ويحيى، وأحمد، عليهم السلام، وكذلك تسمية عين في الجنة، وتسمية الله أتباع الرسول الخاتم بالمسلمين من قبل (آل عمران: 45-36، مريم: 7، الصف: 6، الحج: 78، الإنسان: 18). ووردت عبارة "أجل مسمى" في القرآن عشرين مرة، والمقصود بالمسمى هنا المعين المحدد؛ إذ التسمية تستلزم التعيين والتمييز عن الاختلاط.[2] وورد الاسم بمعنى الذكر في

---

[1] الطبري، **التفسير**، ج13، ص160؛ البيضاوي، **التفسير**، ج3، ص332؛ ابن كثير، إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم** (بيروت: دار الفكر 1401هـ)، ج2، ص517؛ القرطبي، **التفسير**، ج9، ص322-323؛ أبو السعود، **التفسير**، ج5، ص24؛ الواحدي، أبو الحسن، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي)**، تحقيق صفوان عدنان الداوودي (دمشق: دار القلم، ط1، 1415هـ)، ج1، ص574؛ الشوكاني، **فتح القدير**، ج3، ص85، الألوسي، **روح المعاني**، ج13، ص161؛ ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج4، ص333؛ ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج15، ص196-197؛**ودقائق التفسير**، ج2، ص312-313.

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج13، ص81.

آية الحجرات،[1] وهذه سياقات استخدامُها لغوي مألوف ومعهود.

## فما هي دلالة الأسماء في القرآن؟

أول ما يثير انتباه المتأمل في استشكال الملائكة قولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: 30)، فكان الجواب بتعليم آدم الأسماء، وبتتبع ذكر الاسم في القرآن نجده يقترن بتكليف الإنسان بالتسبيح وأن هذا التسبيح يكون باسم الله (الواقعة: 74-96، الحاقة: 52، الأعلى: 1). ومن اللطيف تكرار مفردة الأسماء التي علمها آدم أربع مرات أيضاً)، مما يعني أن الأسماء وسيلة الكائن الجديد لتسبيح الله وتقديسه، وهذا يربط بين الأسماء التي تعلمها آدم واسم الله وأسمائه الحسنى، وهو ما يحيلنا إلى رأي الحكيم الترمذي والذين اعتبروا مثله الأسماء التي تعلمها آدم هي أسماء الله الحسنى التي تتجاوز مجرد الألفاظ الواردة في القرآن. وهذا ربط له أهميته، فالأسماء تدل على معنى يربط الكائن الإنساني بالقيمة المعرفية،[2] التي من خلالها يستطيع تسبيحَ الله والقيامَ بمهمة الاستخلاف في الأرض، فاسم الله هو علمه الذي يسعى إليه الإنسان، والذي علّمه آدم، وهو علة الاستخلاف في الرد الإلهي على اعتراض الملائكة،[3] وتعلم آدم الأسماء إنما تم لا بلغة بعينها، وإنما باللسان المطلق المتقدم على جميع الألسنة، بل وعلى اللسان الناطق.[4] فالأسماء أسبق وأشمل من العلامات اللغوية الدالة على الأشياء، فهي تدل على معاني الأشياء وفهمها ومعرفتها وإدراك كينونتها.

---

[1] الألوسي، **روح المعاني**، ج26، ص155، ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (الحجرات: 11).

[2] المرزوقي، أبو يعرب، **في العلاقة بين الشعر المطلق والإعجاز القرآني** (بيروت: دار الطليعة، ط1، 2000)، ص125.

[3] المرزوقي، أبو يعرب، **شروط نهضة العرب والمسلمين** (دمشق: دار الفكر، ط1، 2001)، ص181.

[4] المرزوقي، **المرجع نفسه**، ص191.

لذلك اعتبر ابن تيمية الأسماء التي تعلمها آدم من جنس حدود الأشياء التي تُعرَّف بها.[1] وبالتالي فالأسماء هنا ليست مجرد ألفاظ أو أعلام أو علامات على الأشياء، وإنما هي معانيها ومعرفتها وملكة إدراكها؛ لذا فهي كلمة دالة على قيم معينة تعلمها آدم. وهذا التأويل نستند فيه إلى نظرية أبي يعرب المرزوقي في الكتابة غير اللغوية السابقة على الكتابة اللسانية الصوتية التصويرية التي تجعل صورة مسمى الكلمة ذات مدلول هو غير مسماها: إنه اسمها، فلا يكون الاسم هو المدلول بالنسبة إلى الصورة إلا لأن الاسم قابل للدلالة المجازية. ومع اكتشاف الكتابة الصوتية إلى جانب اللغة أخذت الكتابة واللغة مكانة أسمى من الأشياء نفسها، فصارت الأسماء المنطوقة والمكتوبة عوضاً عن المسميات، حتى إن فعل الخالق صار مجرد أمر لغوي (كن)، والنظام الوجودي صار سجلاً مطلقاً (اللوح المحفوظ).[2] وبوسعنا تأسيساً على ذلك اعتبار الأسماء حاملاً للقيمة المعرفية التي يتميز بها الكائن الإنساني عن الملائكة.

فالأسماء بما هي مُعَلَّمة من قبل الله وممكنة من قبل الإنسان، هي الوسيط بين الإلهي والإنساني في إدراك الكون واستخلاف الإنسان فيه، ولعل معنى الرفعة والسمو بوصفه أصلاً لغوياً للاسم يدل على اختيار هذا اللفظ للإشارة إلى القيمة المعرفية التي تميز بها الإنسان، فبها يرتفع عن غيره من المخلوقات ويسمو ويرتقي إلى الله. وكذلك باعتبار الاشتقاق الثاني من السمة والعلامة فإن القيمة المعرفية هي التي تميز الإنسان عن غيره وتجعله كائناً متميزا.

فبتعلم الأسماء يدرك الإنسان الأشياء ووظائفها وكيفية التعامل معها، فمصدرية الأسماء الإلهية جعلت منه إنساناً مسلماً لله بفطرته، ومكلَّفاً في الآن نفسه باستخدام ملكة

---

[1] "فليس الحد في الحقيقة إلا اسمًا من الأسماء أو اسمين أو ثلاثة، كقولك حيوان ناطق، وكذلك قيل في تعليم آدم الأسماء كلها **تعليم حدودها**، وهي من جنس الحدود المحدود المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوْا حُدُوْدَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُوْلِهِ﴾. ابن تيمية، **الرد على المنطقيين**، ص10.

[2] المرزوقي، **في العلاقة بين الشعر المطلق والإعجاز القرآني**، ص151 وص188 وما بعدها.

علم الأسماء في إعمار الأرض مسترشداً بهدي الله. لذلك جاء التكليف الإلهي الأول بالقراءة مقروناً بكونها باسم الله، فهي قراءة مزدوجة لا يستقل فيها وعي الإنسان وامتلاكه للقيمة المعرفية في التعامل مع الأشياء عن الصلة بخالقها وخالقه. فعلم الأسماء لا يتأتى إلا من الله، فهو المختص بها فله الأسماء الحسنى، ومن ادعى الأسماء من غيره فلا قيمة لتسميته. فملكة المعرفة التي أُوتيها الإنسانُ بتعلم الأسماء تجعله قادراً على معرفة الله أكثر، وبالتالي تسبيحه وتقديسه وتنزيهه. وكذلك تلقي رسالة الله عبر رسله، الأمر الذي يجعله قادراً على منع الإفساد في الأرض وسفك الدماء. وبما أن الله جعل علم الأسماء ملكة في الإنسان، فقد أناط به مسؤولية الخلافة في الأرض تكليفاً لا تكويناً، وما دام التكليف منوطاً بالحرية التي أودعها الله في الإنسان، كانت استجابته للتكليف متفاوتة، فقد يصل الإنسان إلى درجات جهلتها الملائكة، وقد ينحط إلى ما خشيته الملائكة من إفساد وسفك للدماء، لكن الله تعالى لم يترك الإنسان للأسماء التي تعلمها تكوينًا، وإنما ألقى عليه كلمات وابتلاه بها لتكون مفتاح التوبة إلى الله والتعرف عليه.

## مفهوم الكلمات

### 1- الكلمة في اللغة:

الكلمة مشتقة من الكلم والكلام، وفيها ثلاث لغات: كِلْمَة وكَلِمَة وكُلمة. والكلمة تقع على الحرف الواحد، وعلى لفظة ذات معنى، وتقع على قصيدة أو خطبة بأسرها على سبيل المجاز. وتكلم الرجل تكلماً وتكلاماً وكلمه كلاماً، وتكلمت كلمة وبكلمة. والكَلْم: الجرح والجمع كلوم وكلام، وكَلَمه يكلِمه كلماً جرحه، وأنا كالم ورجل مكلوم وكليم.[1] فالكلْم تأثير مدرك بإحدى الحاستين، فالكلام

[1] الفراهيدي، **العين**، ج5، ص378؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج12، ص522 وما بعدها؛ الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، ص1491؛ الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص550؛ الرازي، **مختار الصحاح**، ص240.

مدرك بحاسة السمع، والكلم مدرك بحاسة البصر.[1] إذاً فالكلمة في اللغة لا تنفصل عن معنى الكلام الذي هو القول، وقد تمتد لتعني الجُرح اعتباراً بما يفيده الكلم من تأثير.

## 2- الكلمات في القرآن:

ورد لفظ "كلمات" جمعاً ثلاث عشرة مرة، ولفظ "كلمة" بالإفراد ثمانية وعشرين. وبتتبع الآيات وجدنا أن "الكلمات" استعملت بالنسبة لآدم مرة واحدة على أنه تلقاها من ربه فتاب عليه،[2] ومرة بالنسبة لإبراهيم على أنه ابتلي بهن فجعله الله للناس إمامًا،[3] وبُشِّر زكريا بيحيى مصدقاً بكلمة من الله (آل عمران: 39)، ووُصف المسيح بأنه كلمة الله.[4] وفي مقابل هذه السياقات المتعلقة بالأنبياء، جاءت الآيات تتحدث عن كلمات الله التي وصفت بأنها لا نفاد ولا مبدل ولا تبديل لها (الكهف: 27، 109 ، لقمان: 27، الأنعام: 34-115، يونس: 64)، وبها يُحِقُّ الله الحقَّ ويقطع دابر الْكَافِرِينَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ، وأن الرسول يؤمن بها، وصدقت بها مريم (الأنفال: 7، يونس: 82، الشورى: 24، الأعراف: 158، التحريم: 12). **أما صيغة المفرد** (كلمة الله) فقد وُصفت بأنها هِيَ الْعُلْيَا (التوبة: 40)، وقد ﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِ اللهِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات: 171)، وأنها تَمَّتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فأُنْقِذوا من فرعون (الأعراف: 137)، كما تَمَّتْ أن الله سيملأ جَهَنَّمَ من الجاحدين (هود: 119)، وقد حقت كلمته على الذين كفروا (يونس: 33-96، غافر: 6)، ولولا أن كَلِمته قد سَبَقَتْ لَكَانَ العذاب عاجلاً (طه: 129)، وأن الاختلاف بين البشر حتمي في الدنيا

---

[1] الأصفهاني، **المفردات**، ص724.

[2] ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37].

[3] ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: 124].

[4] ﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: 45]، ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [ النساء: 171].

بكلمة سبقت من الله (يونس: 19، هود: 110، فصلت: 45، الشورى: 14-21).

ومقابل كلمة الله هذه تحدث القرآن عن كلمة الكفر التي قالها المنافقون (التوبة: 74)، ووصف الله كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا بأنها السُّفْلَى (التوبة: 40)، ووصف دعوى اتخاذ الله ولداً بأنها كَلِمَة "كَبُرَتْ تَخْرُجُ" مِنْ أَفْوَاهِ مدعيها (الكهف: 5)، فلا تنفعهم كلمة الندم عند الموت فهي مجرد كَلِمَةٌ تقال (المؤمنون: 100)، وحينها تكون كَلِمَةُ الْعَذَابِ قد حَقَّتْ عَلَى الْكَافِرِينَ (الزمر: 19-71).

وقد دعا الرسول ﷺ إلى كلمة سواء بين المسلمين وأَهْلِ الْكِتَابِ، مضمونها توحيد الله وعدم الشرك به وعدم اتخاذ البشر بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله (آل عمران: 64). ووصف تبرؤ إبراهيم مما يعبد قومه بكَلِمَة بَاقِيَة جَعَلَهَا فِي عَقِبِهِ (الزخرف: 28)، وألزم اللَّهُ رَسُوله والْمُؤْمِنِينَ كَلِمَةَ التَّقْوَى (الفتح: 26)، وقارن القرآن بين الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ والكلمة الخبيثة وآثار كل (إبراهيم: 24-26).

هذا مجمل ما ورد في القرآن من سياقات تتعلق بالكلمة أو الكلمات، وسنستعين بهذه السياقات في فهمها بعد عرض ما ورد في التفاسير حولها.

**كلمات آدم**: اتجهت معظم أقوال المفسرين إلى تفسير الكلمات التي تلقاها آدم على أنها صيغة من الدعاء توجه به إلى الله، فهي كلمات لُقِّنها آدم من قبل الله ليقولها طالباً المغفرة، أو أنها كلمات إعلام من الله بأنه عفا عنه، وقد اختلفوا في الصيغة تلك. ولم يرد أي منها بنص على أنها هي ما تلقاه آدم، وذكروا قولاً آخر هو أن المراد بالكلمات البكاء والحياء... كما ذكرت أقوال أخرى.[1]

وقد ذكر الأصفهاني أقوالاً لم أجدها في المراجع السابقة وهي: أنها قبول آدم الأمانة المعروضة على السماوات والأرض. وقيل هي حروف التهَجِّي وما تركب منها

---

[1] انظر أقوال المفسرين في:الطبري، **التفسير**، ج1، ص243-244-245؛ القرطبي، **التفسير**، ج1، ص324؛ ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج1، ص69-70؛ أبو السعود، **التفسير**، ج1، ص92؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص437.

من الأسماء التي كان قد علمها، وما أنتج منها من العلوم الحقيقية والأعمال الفاضلة، وما يؤول إليه ذلك من الإيمان فالتوبة. وقيل هي الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم، وأنها خصال مذكورة في سور التوبة والمؤمنين والمعارج، وأنها تخص العلماء والحكماء والكبراء. وقد جمع الأصفهاني بين القولين الأخيرين باعتبار أن الأول نظر إلى المبدأ والثاني نظر إلى الغاية.[1]

**كلمات إبراهيم:** عُبِّر بالكلمات عن الوظائف التي كُلِّفها إبراهيم عليه السلام، ولما كان تكليفها بالكلام سميت به؛ والكلمات قد تطلق على المعاني، واختلف المفسرون في المراد بالكلمات على أقوال: فقيل هي شرائع الإسلام، أو الأمر والنهي، أو أمره بذبح ابنه، أو أداؤه الرسالة، أومناسك الحج خاصة، أو ابتلاء الله له بالطهارة وخصال الفطرة وأصول الحنيفية، أو هي خصال محمودة ذكرت في سور مختلفة وهي نفسها التي تلقاها آدم، أو الخلال الست الكوكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان، أو أنها كل مسألة في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (إبراهيم: 35). وقيل ابتلاء الله له بفراق قومه، وصبره على قذفهم إياه في النار. وهي أقوال ليست بمتناقضة؛ لأن هذا كله مما ابتلي به إبراهيم عليه السلام؛ وغير جائز لأحد — كما قال الطبري – ادعاء شيء من ذلك بعينه إلا بحجة يجب التسليم بها.[2] فالأقوال جميعاً تؤول إلى تفسير الكلمات بأنها **ما ابتلى الله به إبراهيم**، فلها معنى خاص غير المعنى اللغوي، وما يجمع المعنى الخاص والمعنى اللغوي كونها تكاليف تُبلغ عبر كلمات معينة.

---

[1] الأصفهاني، تفسير سورة البقرة، ص216-217.

[2] الطبري، **التفسير**، ج1، ص524 وما بعدها؛ القرطبي، **التفسير**، ج2، ص97-98؛ البيضاوي، **التفسير**، ج1، ص395-396؛ ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج1، ص139-140؛ ابن كثير،**التفسير**، ج1، ص166-167؛ الأصفهاني، **تفسير سورة البقرة**، ص244؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص703.

**عيسى كلمة الله:** ورد في القرآن كون يحيى مصدقاً بكلمة من الله (آل عمران: 39)، وقد فسرت الكلمة هنا بأنها عيسى بن مريم، وهو رأي معظم المفسرين، واستبعد رأيُ مَنْ قال إن المقصود بالكلمة كتاب من الله.[1] واختلف في سبب تسميته فقيل: لأن ابتداء أمره كان كلمة من الله (كن) من دون توسط سبب عادي، والعرب تسمي الشيء باسم الشيء مجازاً إذا كان صادرًا عنه،[2] أو أنه لما بشر به في الكتب القديمة أطلق عليه الاسم.[3] أو لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلمة من الله تعالى،[4] أو أن الكلمة هي اسم لعيسى سماه الله بها كما سمى سائر خلقه بما شاء من الأسماء.[5]

هذا وثمة تفسير آخر للكلمة الواردة في آية تبشير مريم بالمسيح (آل عمران: 45)، وهو أن المقصود "بكلمة منه" يعني برسالة من الله وخبر من عنده، وهو من قول القائل ألقى فلان إلي كلمة سرني بها بمعنى أخبرني خبراً فرحت به، يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها، وقيل الكلمة هاهنا بمعنى الآية.[6] وقد لوحظ في علاقة عيسى

---

[1] الطبري، **التفسير**، ج3، ص252-253؛ القرطبي، **التفسير**، ج4، ص76؛ الألوسي، **روح المعاني**، ج3، ص147.

[2] الطبري، **التفسير**، ج3، ص269؛ القرطبي، **التفسير**، ج4، ص76، ج6، ص22؛ ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج1، ص389؛ ابن تيمية، **دقائق التفسير**، ج1، ص324؛ ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج17، ص276؛ الواحدي، **التفسير**، ج1، ص210؛ الجصاص، **أحكام القرآن**، ج2، ص295؛ الألوسي، **روح المعاني**، ج3، ص147-160؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج3، ص245، ج6، ص52.

[3] القرطبي، **التفسير**، ج6، ص22؛ الجصاص، **أحكام القرآن**، ج2، ص295؛ الألوسي، **روح المعاني**، ج3، ص160.

[4] القرطبي، **التفسير**، ج4، ص76؛ الجصاص، **أحكام القرآن**، ج2، ص295؛ ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج1، ص389؛ الألوسي، **روح المعاني**، ج3، ص160.

[5] الطبري، **التفسير**، ج3، ص269؛ ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج1، ص389.

[6] وقد رجح الطبري الرأي الأول واتجه معظم المفسرين إلى تفسير الكلمة هنا بأنها اسم المسيح، الطبري، **التفسير**، ج3، ص269؛ ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج1، ص389؛ القرطبي، **التفسير**، ج6، ص22؛ الواحدي، **التفسير**، ج1، ص210.

بالكلمة تدرجاً نسقياً بدءاً من كونه مخلوقاً لله، فهو مفردة من مفردات الخلق فسمي بكلمة قبل خلقه، وعند تخلقه في بطن مريم، وبعد إيجاده، ثم كانت معجزته الكلام في المهد، وكان نذر أمه الصوم عن الكلام (مريم: 36)، وتتصل الكلمة بأمه فتصدق بكلمات الله، وبذلك تكون صلة عيسى بالكلمات شاملة تكويناً وتكليفاً.[1]

**الكلمات الأخرى:** تعددت المعاني المذكورة في تفسير الآيات الأخرى في غير السياقات الثلاثة التي ذكرنا، كما تشابهت التفسيرات بين الكلمة والكلمات في مختلف السياقات. وقد تتبعتها فوجدتها تتمحور حول المعاني التالية: 1- كلمات الله آياته القرآنية، فالكلمات هي القرآن، أو الكلام القديم، أو وحي الله، أو العبارات والدلالات التي تدل على مفهومات معاني كلامه سبحانه، 2- كتبه من التوراة والإنجيل والقرآن، 3- مواعيد الله، وعده ووعيده وثوابه وعقابه، 4- مواعظ الله، 5- عجائب صنع الله الدالة على قدرته ووحدانيته، 6- العلم وحقائق الأشياء، 7- حكم الله وأقضيته، أو إرادته وسنته في خلقه، 8- دين الله أو التوحيد، 9- كلمة التقوى كلمة الشهادة أو البسملة.[2]

هذه المعاني التي نقلناها إنما تفسر الكلمة أو الكلمات بحسب ما تدل عليه الآية في سياقها بغض النظر عن كون اللفظ يدل عليه أو لا يدل، فهو تفسير سياقي لا صلة له بالمفردة، كتفسيرها بقضاء الله وسنته. لذا فإن هذه التفاسير لا تقدم إضافة في

---

[1] حسن، **الكلمة في القرآن**، ص248 وما بعدها.

[2] انظر الأقوال المذكورة في: الطبري، **التفسير**، ج16، ص39؛ القرطبي، **التفسير**، ج7، ص71-302، ج8، ص340، ج11، ص69، ج14، ص76؛ ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج3، ص31-111، ج4، ص30؛ **نزهة الأعين النواظر**، تحقيق عبد الكريم الراضي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1985)، ص244-245؛ البغوي، **التفسير**، ج2، ص206؛ النحاس، أبو جعفر، **معاني القرآن**، تحقيق محمد علي الصابوني (مكة المكرمة:جامعة أم القرى، ط1، 1409هـ)، ج4، ص302، ج5، ص291؛ الواحدي، **التفسير**، ج1، ص372؛ البيضاوي، **التفسير**، ج5، ص208؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص202، ج8، ص19، ج9، ص141، ج11، ص221، 257-287، ج12، ص171.

تحديد دلالة المفردة، وقد لوحظ تشابه التفسير بين مختلف الآيات دون ربط بينها إلا فيما ندر.[1] ولعل ابن تيمية كان أبرز مَنْ ربط سياقات لفظ الكلمة أو الكلمات بعضها ببعض، ونظر إليها نظرة شمولية، فصنفها إلى نوعين: **الأول الكلمات الكونية القدرية**، وهي من متعلقات الأمر الإلهي المشار إليه بقول سبحانه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ (يس: 83). والكون كله يدخل تحت هذه الكلمات، ومنها الكلمات التي صدقت بها مريم وغيرها، ويتم كشفها للعبد بالعلم بالحوادث الكونية. **والنوع الثاني: الكلمات الدينية الشرعية**، وهى القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله، وهي أمره ونهيه وخبره، ومن ذلك كلمات إبراهيم، وحظ العبد منها العلم بها والعمل والأمر بما أمر الله به، وكشفها للعبد يتم بالعلم بالمأمورات الشرعية.[2]

وقد ربط ابن تيمية الكلمة والكلمات بلفظة الأمر، واعتبر أن كلام الله يجيء تارة بلفظ الأمر وتثبت له الوحدة الخالقية التي لا كثرة فيها: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (القمر: 50)، وتارة يجيء بلفظ الكلمات وتثبت لها الكثرة البالغة التي لا وحدة فيها ولا نهاية لها، فله تعالى إذاً أمر واحد وكلمات كثيرة، وأمره قديم وكلماته أزلية، **والكلمات مظاهر الأمر**، وكل الكون قائم بكلمات الله محفوظ بأمره.[3]

## ما هي دلالة الكلمات في القرآن إذاً؟

تقوم فرضيتنا في تتبع مختلف السياقات لأي مفردة قرآنية على وجود صلة بينها تقود

---

[1] حتى الدراسات المعاصرة وقعت في الإشكال نفسه، رغم وعيها بضيق المعنى المعجمي عن استيعاب مدلولات الكلمة في القرآن، إذ صنفت موضوعات الآيات التي وردت فيها لفظة الكلمة أو الكلمات، مع تعميمها أحياناً إلى مفردة الكلام دون ضابط منهجي، انظر: سليمان، سمير، **خطاب الكلمة في القرآن/قراءة في نظام دلالاتها العامة ودلالاتها السننية** (طهران: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، 1989)؛ على الخصوص ص24-25؛ حسن، غالب، **الكلمة في القرآن: مقاربات في المجال الدلالي والوظيفي**، وخاصة ص225.

[2] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج11، ص322، ابن كثير، **التفسير**، ج1، ص166.

[3] ابن تيمية، **درء التعارض**، ج2، ص319-320.

إلى معرفة المعنى المركزي للمفردة الذي قد يستعار لمعان أخرى. وقد لاحظنا الربط بينها بالخصوص عند الأصفهاني وابن تيمية، فاعتبر الأول الكلمات التي تلقاها آدم هي نفسها التي ابتلي بها إبراهيم، بينما عممها الثاني لجميع السياقات القرآنية لتتوزع بين كلمات تكوينية وشرعية، والنوعان يرجعان إلى معنى واحد هو **التجلي الإلهي للبشر**.

هذه المقاربة التيمية تساعدنا في استكناه معنى يربط بين مختلف السياقات، فثمة عنصر مشترك بينها هو **البعد الإلهي للكلمات**. فالآيات تتحدث عن كلمة الله أو كلماته، أو كلمة منه، أو كلمات يتلقاها الإنسان أو يبتلى بها. وسواء تلقاها أو ابتلي بها فهي تحدد طبيعة علاقة الإنسان بالله، فبالموقف منها تتم التوبة، وبإتمامها يتأهل الإنسان لإمامة الناس، وحسبها يسير التاريخ وتتحدد العلاقة بين الناس، فلا سلطة لأي منهم فيما هو موضوع اختلاف بينهم إذ كلمة الله سبقت بتأجيل حسمه.

هذه المعطيات القرآنية تُعَيِّنُ طرفين لتحديد إطار معنى الكلمة أو الكلمات، هما الله والإنسان: فالله هو مصدر الكلمات ومكونها، والإنسان هو المباشر لها ومتلقيها، وهي تأتي من الله في صورتين: تكوينية تتمثل في الكون والأشياء أو المخلوقات، وتكليفية تتمثل في النصوص المتضمنة للتعاليم الإلهية. وعلاقة الإنسان بنوعي الكلمات هي القراءة والتأمل والتدبر والعبور بها إلى مراد الله من تكوينها، وهو معنى تحمل الإنسان للأمانة الذي أشار إليه الأصفهاني[1] بأنه معنى الكلمات التي تلقاها آدم ليعبر بها إلى الخصال التي طلب من المؤمن التحلي بها في القرآن والمنثورة في مختلف السور، فتكون علاقة الإنسان بالكلمات هي استخدامها من البداية (تحمل الأمانة)، للوصول إلى الغاية (خصال الفضيلة) التي طلب من المؤمن السعي إليها.

لكن ما هي العلاقة بين المعنى اللغوي للكلمة واستخدامها القرآني؟

---

[1] الأصفهاني، **تفسير سورة البقرة**، ص216-217.

إن الدلالة اللغوية لاشتقاقات الكلمة تفيد معنى الأثر الواضح والدال، سواء بمعناه الحسي أو المعنوي، والكلمات بمعنييها التكويني والتشريعي (**الكون والنص**) كلها قابلة للقراءة والمعاينة والفهم والاعتبار. فالكون المخلوق أثر بارز قد أُمر الإنسان بتدبره والنظر فيه، ومن ذلك عيسى الذي خلق على غير العادة فوُصِفَ بالكلمة ليتم تدبر خالقية الله له والعدول عن مسلك السمو به إلى مرتبة الإله. وكذلك كلمات الله الأخرى التي وصفها الله بأنها لا تنفد ولو نفدت طاقة الإنسان في قراءتها وملاحظة قوانينها وسننها. وقد أشار القرآن في هذا السياق إشارة دقيقة إلى معنى رديف للأمر بالقراءة وهو الكتابة عن الكلمات، وهي دعوة غير مباشرة للتعرف على الكون واكتشاف قوانينه وتسجيلها، فشبَّه القرآن عظمة كلمات الله وعجز الإنسان عن الإحاطة بها بمن اتخذ أشجار الأرض أقلاماً وماء بحاره حبراً ليسجل ما يلاحظه ويقرأه من كلمات الله التكوينية والشرعية فلن يحيط بها ولو بقيت أشجار الأرض وبحارها تتجدد.[1] وبما أن الإنسان هو مَنْ يباشر القراءة والكتابة، فطبيعة التشبيه القرآني بمثابة إشارة للإنسان ليقرأ الكون ويسجل ما يكتشفه فيه، وفي ذلك تكميل للأمر الأول بالقراءة. فعلاقة الإنسان بالكلمات علاقةٌ مفتوحة بدءاً من آدم إلى الرسول الخاتم، علاقةُ تصديقٍ وإيمان بالمطلق، وسعي لاكتشافه والتعرف عليه والسمو إليه. لكن الإنسان الجاحد لإلهية الكلمات والساعي للتألّه وادعاء الإحاطة بالوجود يدعي من نفسه كلمات ومعان يقابل بها كلمات الله، من هنا قابل القرآن بين كلمة الله العليا والسابقة والمسيطرة من جهة، وكلمة الكفر السفلى من جهة أخرى.

## خاتمة: العلاقة بين الأسماء والكلمات

لقد علَّم الله آدم الأسماء، وهو تعليم يعم جنس الإنسان، كما يدل عليه سياق

---

[1] ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (الكهف: 109)؛ ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لقمان: 27).

القصة عنه. وأمر الله الإنسان على لسان الرسول الخاتم في أول تكليف إلهي في نص الرسالة الخاتمة بالقراءة باسم الله، كما تلقى آدم كلمات من الله وابتلي بهن إبراهيم وصدقها المرسلون والرسول الخاتم بالأخص، وأمر الإنسان بالاعتبار بها وتدبرها وقراءتها. وبالتالي فالكلمات بنوعيها تقرأ، وقد أمر الله أن تكون القراءة باسم الله مما يعني أن علم الأسماء هو مفتاح القراءة للكلمات التكوينية والشرعية. وإذا كانت الأسماء رمزاً إلى ملكة المعرفة والعلم لدى الإنسان، والكلمات التكوينية والتشريعية هي تجليات الله للإنسان، فإن طريق الإنسان إلى تسبيح الله وعصمة نفسه من الإفساد وسفك الدماء هو التعرف على الكون وعلى تعاليم الله بواسطة العلم الذي أوتيه الإنسان،[1] وهو فعل القراءتين للكلمات التكوينية والشرعية.

وثنائية الكلمات وكون قراءتها هي الطريق لأداء مهمة الاستخلاف تدل على تطابق التعاليم الإلهية مع فطرة الإنسان، وتطابق السنن الإلهية التكوينية مع السنن التشريعية. في هذه المقابلة بين طبيعة الأسماء وطبيعة الكلمات كما أوضحناها، نلحظ تشابهاً فيما بينها من حيث اشتراكها في ثنائية إحالتها وتعلقاتها؛ أعني ارتباطها بالله من جهة وبالإنسان من جهة أخرى. ففي حين توصف بأنها إلهية ومن الله، فهي كذلك مجال إمكانية الإدراك من قبل الإنسان وقابلة للفهم الإنساني في آن، وكما أن هناك أسماء الله وكلماته، هناك أيضًا في مقابلها الأسماء الباطلة وكلمة الكفر المدعاة.

إن هذا التشابه في طبيعة الأسماء والكلمات وتعاليهما عن أن يحيط بهما المعنى اللغوي، والعجز التفسيري عن إيجاد تعريف مفهومي أو اصطلاحي لهما ممّا يسمح لنا بافتراض وجود نظرية في اللغة القرآنية نصطلح على تسميتها **المفردات الرمزية في**

---

[1] من هنا كان العلماء هم الأشد خشية لله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: 28)، وذلك من خلال تعلمهم وإدراكهم علاقة العلم بالله (القراءة باسم الله) وفهم كلماته التكوينية والتشريعية.

**الخطاب القرآني**، ونعني بها تلك المفردات التي لا تحيط بها المعاني اللغوية المعلومة للمفردة ولا تساعد السياقات على ضبط معنى معين لها مع اشتراكها في إشارات لمعنى لا يحيط به الإنسان. وغالباً ما يكون استعمال هذه المفردات في القرآن غير مألوف في نسق اللغة العادي، فتأخذ المفردة طابعاً خاصًّا في القرآن ينبع مما أشرنا إليه من ثنائية تعلقها بالإلهي والإنساني، فهي **لغة وسيطة بين عالمي الغيب والشهادة**، بين الله والإنسان، فهي **رمزية تحيل إلى القيم التي تنظم هذه العلاقة وأطرافها**، والبعد الإلهي فيها يجعل اللغة الإنسانية عاجزة عن الإحاطة بمعانيها لذلك سميناها رمزية.[1] وقد انتقى القرآن من لغة الإنسان ما هو الأنسب للرمز إلى المعنى المقصود تجليته للإنسان، فلا يمكن تفسيرها في سياقها القرآني بالمعنى اللغوي، وإنما من خلال استكناه ما ترمز إليه بعد استقراء استخداماتها القرآنية.

هذه الفرضية التي استوحيناها من دراستنا لمفردتي الأسماء والكلمات تحتاج إلى دراسات تعمقها من خلال تتبع مفردات القرآن ودراستها، ولا تسمح هذه الدراسة بأكثر من الإشارة إليها وفتح أفق قد يضيف في منهجية تدبر القرآن ما يجيب عن أسئلة لا تزال معلقة. كما أن مفردتي الأسماء والكلمات تحتاجان إلى تعميق وتوسع يربطهما بمفردات أخرى كالاشتقاقات الأخرى للكلمة (أعني الكلام)، لكنا اكتفينا بما يسمح به المقام في هذا المقال. ولئن قادت الأسماء إلى دراسة الكلمات، فإن

---

[1] لا يقوم بمعنى الرمزية الذي أشرنا إليه تعبير المجاز الذي له مقتضياته المختلفة، فمعنى الرمزية الذي نقصده يختص بالمفردات ذات الصلة بعالمي الغيب والشهادة، ولا يمكن تفسيرها بمعنى لغوي من عالم الحس وتطبيقها على عالم الغيب غير المدرك، فلم يبق إلا التفسير باعتبار ما يمكن أن يرمز إليه استعمال المفردة في مختلف سياقاتها النصية واستخداماتها اللغوية، كما أن معنى الرمزية هذا يختلف تماما عن التفسير الإشاري، إذ اللغة والحقيقة اللغوية للمفردة واستعمالاتها هي المفتاح لمعرفة المعنى، ومن جهة أخرى فإن التفسير الرمزي هذا يقوم على مفهوم المفردة الكلي في مختلف السياقات القرآنية فقد تحمل بعض السياقات معنى لغوياً أو معنى شرعيا.

كلمات الله عندما تجتمع تشكل الكتاب، وهو المفهوم الذي لا يقل أهمية وإثـــارة في القرآن وهو ما سنتناوله في بحث آخر متمم لهذا البحث بعنوان "الكتاب في القـــرآن: دراسة مفاهيمية".